

مرد هذا السؤال الذي أثارته « الآداب »
 الغراء امران :
 أحدهما هذه الازمة التي يعانها الشعر
 بوجه عام عند كل امم الارض .
 والثاني هذه الازمة التي يعانها الشعر
 بوجه خاص في العالم العربي .

رأي في الشعر

بقلم الدكتور شكري فيصل

واحسب ان مجال الحديث فيصبح إذا
 نحن نظرنا في هذين الامرين معاً ، فحسبنا لذلك ان نكتفي بواقعا الخاص ،
 على إيماننا بهذه الصلة التي تربط بين هذا الواقع وبين واقع الشعر في اللغات
 كلها .

والامر في جمته بالنسبة الى الشعر العربي ليس أمر « نكسة » ولكنه
 أمر « تطور » .. وفهم اتجاه هذا التطور ومداه وتطابقه مع الشعر العربي
 القديم او تباعده عنه ، هو الذي يتيح لنا بعد ذلك ان نرى اهو « نكسة »
 ام هو شيء آخر غيرها .

والواقع ان الاساليب المطبوعة والاصيلة التي كان يتحلل بها الشعر العربي
 الحديث عند شوقي وحافظ بوجه خاص ، والصلة المكنية التي كانت تربط بين
 القصيدة عند هؤلاء الشعراء وبين القصيدة عند المتقدمين من الشعراء الفحول ...
 هذه الصلة توشك ان تكون قد تعرضت في الشعر المعاصر الى شيء من
 الرثاثة او الانقطاع .

والظاهرة الواضحة في شعرنا المعاصر الذي نقرؤه في الدواوين والمجلات
 انه شعر ينحرف به اصحابه عن سنن الشعر القديم ... يخالفون في كثير من
 المرات عن الاسلوب والبناء وتأليف العبارة ، وعن الوزن والقافية وقواعد
 العروض ، ويخرجون به عن هذا الطريق اللاحب المريض الذي اعنته
 مواكب الشعراء على مدى القرون الى هذه الطرق الجانبية التي تتفرع من
 هنا ومن هناك ... كأنما تعبر بهذا التفرع عن الرغبة في الانفلات والميل الى
 الانطلاق والنخف من كثير من القيود .

ومن هنا... من هذه المقابلة بين السبيل الذي كان يسير فيه شوقي وحافظ
 وبين السبيل الذي يسير فيه شعراؤنا المعاصرون تتبدى هذه الفجوة او هذا
 الاختلاف... وهي فجوة تحياها احيانا بعض النباتات او تكسوها بعض الشجرات
 او تنفجر في سفوحها بناييع او تتحدر على جوانبها جداول او يكون لها
 هذا اللون من السحر او ذلك فسميها تقدماً بالشعر واغناء له ... وهي في
 اكثر الاحيان فجوة جرداء غبراء عارية تبعدك عن الطريق دون ان تكسبك
 من وراء ذلك جمال التمرد ومتمعة المخالفة فسميها نكسة او ارتداداً بالشعر .
 ولست ابعد على القارئ ... ففي وسعه ان يمر هذه المرة السريعة على
 ما بين يديه من مجلات او دواوين فيرى ذلك ... بل لعل في صنيع مجلاتنا
 الادبية في تقديم النتاج الشعري الجديد ما يشعر بذلك ويقود اليه .

فأصحاب هذه المجلات يقدمون بين يدي القاصد المحدث قطعاً مختارة من الشعر
 العربي القديم ... واثت قد تسمي هذا الصنيع تنويهاً في النشر ، وقد تسميه
 تيسيراً على القارئ ، وقد ترى انه لفت الى كنوز تراثنا الشعري القديم ...
 ولكنك مهما اخترت له من اسماء فلن تنسى ان ، هذا الصنيع ، نوع من
 المقابلة ... مقابلة فيها هذا الاعتراف الضمني - وهو اعتراف غير شعوري
 غالباً - بأن هناك هذا المدى او هذه الفجوة بين شعرنا القديم الذي مضى
 فيه شوقي وحافظ وبين شعرنا الجديد الذي يضيء فيه شعراؤنا المعاصرون .

هذه الفجوة تتمثل في كثير من المظاهر ... تتمثل في الميل الى اليسر وايتار

اقرب اللفظ والعدول عن الجزل الآسر
 الى ما وراءه من هين قريب ... تتمثل في
 التعامل من بعض قيود اللغة والانصراف عنها
 ومحاولة تغليب الاضعف او الاكثر انتشاراً على
 اللسنة العادية ، على الاقوى والاكثر انتشاراً
 على السنة القدامى والفحول ... تتمثل في النظر
 الشزر الى القافية والخروج عنها برفق حيناً

والثورة عليها بمنف حيناً آخر ... وتتمثل اخيراً في ان بعض الشعراء يولي
 تراث الشعر العربي القديم كله ، من امرى القيس الى شوقي ، ظهره ... ثم
 يقول الشعر او يحاول ان يقوله وفق ما يبدو له انه مستطيع .

ولن احدث عن هذا الشعر القديم ولا عن الجبل به ، ولكني اتساءل ما
 الذي يمكن ان يشفع بعد هذا كله ، للشعر المعاصر فيجوده من ان يكون
 نتاجه « نكسة » في تاريخ الشعر العربي ??

هناك شيء واحد يمكن ان يغطي هذه الفجوات ... ذلك هو قوة الشاعر
 نفسه ، قوة روحه الشاعرة ... سعة انطلاقاته وامتداد آفاقه ... وثباته
 بقارئه ... تجريده العميق ، خياله المنهج ، عاطفته العنيفة التي تأسر عواطفنا
 وتسوقنا كيف تناء ... عمق تجاربه النفسية وانسانية هذه التجارب ... قدرته
 على ان يكون شعره غناء ضاحكاً او غناء باكياً او غناء متأثراً في مترك حياتنا
 التي تتعاقب فيها المبكيات والمضحكات كالمبكيات ... تمكنه من نفسه اولاً
 كشرط اساسي في قدرته على التمكن من نفوس القراء والغلبة عليها حتى يحاز
 اليه هؤلاء القراء ، مغضين عن هذا الفراغ الذي يجدونه بين الشعر القديم
 الذي جده شوقي وحافظ وبين هذا الشعر الجديد .

لما نصيب الشعر المعاصر من ذلك كله وما حظ شعرائنا المعاصرين منه ؟ ألا
 يبدو انه حظ قوي حيناً وضئيل في اكثر الاحايين .?

فاذا كان ذلك كذلك فان لك ان تسمي ما تراه في الشعر المعاصر نكسة ...
 واما اذا كنت لا ترى هذه الفجوة ، في كل مظاهرها المتقدمة ، وكنت كذلك
 ضيقاً بالغة والقواعد والاوزان متأثراً عليها بعيداً عن نصوص الشعر العربي في
 كل مراحلها فان لك ان تسمي ما تراه في الشعر المعاصر تطوراً .

ولكن اعيدك ان تنسى قبل ان تتخذ موقفاً ما ، ان الشعر إنما هو قبل
 كل شيء استمرار من الماضي الى الحاضر وامتداد من الحاضر الى المستقبل ...
 ولكنه استمرار متجدد وتمدد غني ... مهمته ان يصل بين اعماق جذور هذه
 السرحة العظيمة في مطاوي الأرض وبين ابعاد براعمها في اجواز الفضاء .

وتقدير الشعر وتقويم الشعراء إنما يرجع الى هذا ... الى قدرتهم على
 النهوض بهذا الاستمرار وهذا التمدد ... اعني قدرتهم على تمثل الشعر القديم
 وهضمه ثم على انشاد الشعر الجديد والتبشير ببذرات المستقبل .

إننا نقرأ الشعر لاننا نجد فيه انفسنا ... وانفسنا ليست صوغ هذا الحاضر ،
 ولكنها صوغ هذا الحاضر الذي يقوم على طبقات متراكبة من ترسبات الماضي ...
 والنصر المستمر من الشعر هو الذي يتطابق مع هذه الترسبات والنصر الجديد
 منه هو الذي يتطابق مع الجديد من حياتنا ... وبتعبير آخر : هنالك دائماً هذان
 القطبان ... ونحن نجد ان نجد في الشعر كل ماضينا وحاضرنا ونجد ان نجد
 فيه مستقبلنا ولهذا يجب ان يكون الشعر في مبناه ومناه ، في قيوده وانطلاقه
 صورة عن هذا الماضي والحاضر والمستقبل .

ومدى النكسة او التقدم إنما ينضب ، فيما يبدو لي ، في هذا المقياس ...
 فاختر لنفسك بعد ، ان تقول في الشعر الحديث ما تحب ان تقول .

شكري فيصل